سنن الصلاة

وقبل أن أبدأ الحديث أسألك أخي الحبيب: هل ستحافظ على الصلاة في وقتها؛ خاصة صلاة الفجر.. حينئذ ستشعر بخشوع وحضور قلب وأنت واقف بين يدي الخالق جل وعلا. ويا ترى على أي مرتبة تحب أن تكون في صلاتك؟ هل تحب أن تكون من أهل المرتبة الأولى أم الثانية أم الثالثة أم الرابعة أم الخامسة؟!

وعرفنا أن مما يعين على الخشوع في الصلاة ترك المعاصي، وفهم حركات الصلاة، وحديثنا الآن عن السنن وقيام الليل. والسنن أنواع كثيرة منها السنن الراتبة (القبلية والبعدية) سنّة الفجر وغيرها.. وهناك صلاة الحاجة وصلاة الاستخارة وصلاة التوبة، وصلاة العيد وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف وقيام الليل وغيرها. فالصلاة مرتبطة بالمسلم طوال يومه وليلته ومتوغلة في كل شؤون حياته من زواج أو سفر أو شدة أو فرح أو غير ذلك، كل ذلك نعبد فيه ربنا بالصلاة والتقرب إليه سبحانه.

ولعل سائلاً يسأل: أما كان من الأيسر أن تُضم الصلوات الخمس إلى بعضها فنؤديها في ساعة أو بعض ساعة ثم نستريح ونلتفت لحياتنا؟! وما الحكمة من كون الصلوات متفرقة ومتباعدة؟!

والإجابة: جعل الأمر كذلك لكي يظل المسلم على اتصال دائم بالله طوال يومه وليلته وسفره وإقامته وحزنه وسعادته.. ولكي تبقى روحك متصلة بالله تعالى، ولهذا الأمر أيضًا هدف تربوي.. فربما حدثت الإنسان نفسه بمعصية، فإذا هم بفعلها تذكر أنه سيقف بعد قليل بين يدي الله تعالى ليؤدي صلاة الظهر أو العصر مثلاً، فحينئذ يكفه ذلك ويردعه عن المعاصي.. ولعل هذا يتضح جليًّا عند الحديث عن تحريم الخمر في أول مراحله حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ..﴾ [النساء: 43] معنى هذا أنه ينبغي عليه أن يكف عن شرب الخمر قبل الصلاة بساعة أو أكثر مثلاً.. وإذا كانت الصلاة تتكرر خمس مرات فإن هذا أدعى إلى تعويده على ترك شرب الخمر بالكلية.

وصلاة الفجر ـ بالذات ـ لها أهمية قصوى، فهي مقياس قوة الإيمان وحب الله الرحمٰن ومجاهدة النفس ووساوس

الشيطان. فالصلاة معراج للروح وتهذيب للنفس وتربية للوجدان وكف للنفس عن العصيان، ولهذا قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: 45] وذلك لأن الصلاة تحتويك وتجعلك مشغولاً بها طوال اليوم والليلة.. وكأنه النداء الذي يتكرر خمس مرات يقول للمسلم: إذا كنت قد أصبت وأحسنت في الساعات الماضية فاجتهد كي تسعد في الساعات الآتية.. وإذا كنت قد قصرت وأخطأت فلا تحزن ولا تيأس من رحمة الله.. بل امح أخطاءك ساعة بساعة.. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: 114] وقد نزلت هذه الآية إجابة على رجل قبل امرأة لا تحل له وسأل النبيﷺ عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية التي تبين أن الصلوات تمحو الخطايا بإذن الله وعفوه ورحمته.

أولاً: السنن المؤكدة:

يقول النبيﷺ: «**من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتًا في الجنة**»[1]، والسنن المقصودة في هذا

(1) رواه الترمذي (الحديث: 415) والنسائي (الحديث: 1806) والإمام أحمد (الحديث: 4/ 413).

الحديث هي السنن الراتبة.. وإذا حافظت عليها بني لك كل يوم بيت وأين؟! في الجنة!! ولا تنس أن آسيا زوج الطاغية فرعون سألت الله ذلك: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ...﴾ [التحريم: 11] وأنت يُبنى لك كل يوم بيت في الجنة إذا حافظت على السنن الراتبة!! فيا لها من سلعة زهيدة ولكن ثمنها غال جدًا!! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء!!

ولاحظ أن بيوت الجنة ليست كبيوت الدنيا.. ولا كقصورها.. ولو كان قصر المنتزه! وأسألك سؤالاً: لو كان قصر المنتزه ملكك ماذا كنت ستفعل؟! وتخيل لو حافظت على هذه الركعات طوال حياتك، فكم من البيوت ستبنى لك في الجنة؟! الناس تشقى وتكد وتتعب وتدخر وتسافر وتدخل في جمعيات كي تحصل على «**ڤيللا**» في الساحل الشمالي أو في مارينا مثلاً.. فما بالك بقصر في جنة عدن؟! وتخيل نفسك عندما يأتيك إخوانك في الجنة ليزوروك.. وبالطبع ستفرح بذلك وستكرمهم قدر استطاعتك، وربما تقول لهم: أيها الإخوة.. أنا أدعوكم إلى تناول وجبة سمك في قاع المحيط.. في جنة عدن؟! فهيا ننزل لكي نصطاد (والصيد هنا هواية وليس حرفة).. وانتبهوا، فقد دعوت الرسول عليه الصلاة والسلام للعشاء معنا فلبى الدعوة، فاصطادوا بهمة ونشاط!!

وتخيل نفسك وأنت تنتقل بين قصورك في الجنة، فتقول: أنا اليوم ذاهب إلى جنة عدن لأقيم في قصري هناك ليلتين، وبعد ذلك سأذهب إلى جنة الفردوس، عندي قصر هناك بتطوع صيام يوم عرفة.. وبعد ذلك ـ في الحقيقة ـ سأذهب إلى جنة الخلد، لأني أعطيت موعدًا لسيدنا معاذ بن جبل لأقابله هناك، حيث دعوته على العشاء لزيارة قصري هناك!!

والسؤال: فماذا عن تفصيل هذه الركعات الاثنتي عشرة؟! والجواب أنهما: ركعتان قبل الصبح (ركعتا الفجر).. وأربع ركعات قبل الظهر واثنتان بعده، أو العكس (اثنتان قبله وأربع بعده).. واثنتان بعد المغرب واثنتان بعد العشاء. هذا الحديث رواه الإمامان: مسلم والترمذي.

وللعلم فإن ركعتي الفجر بالذات لهما ثواب عظيم؛ إذ قالﷺ: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[1]. سبحان الله: هاتان الركعتان أحسن من الدنيا كلها وما فيها!! فأخبروني ـ بالله عليكم ـ إذا كان هذا ثواب ركعتي السنة، فما بالكم بثواب الفريضة (فريضة الصبح)؟!

(1) رواه مسلم (الحديث: 1685) والترمذي (الحديث: 416) والنسائي (الحديث: 1758).

فلماذا نزهد في هذا الثواب العظيم والأجر الكبير؟! وبعض الشباب لا يصلي الفجر، لأنه يصحو الساعة التاسعة صباحًا، وهو مستعجل لأن عنده كلية ومحاضرات.. إلخ!!

فماذا ستصلي عندها السنة أم الفرض؟! بالطبع ستصلي ركعتي الفريضة على وجه السرعة وبلا أي خشوع وتنزل سريعًا لتدرك الجامعة أو المدرسة أو العمل!!

يقول النبيﷺ: «**لا تدعوا ركعتي الفجر ولو طاردتكم الخيل**»[1]!! لو أن العدو يجري خلفكم لا تتركوا هاتين الركعتين.

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها عن ركعتي الفجر: كان رسول اللهﷺ يخففهما حتى أشك أنه صلى بأم الكتاب!! وهذا من تيسير النبيﷺ على أمته من بعده.. فأبشر يا أخي.. إنهما ركعتان خفيفتان ومع ذلك خير من الدنيا وما فيها.

والنبيﷺ كان يخففهما مع أن صلاته كانت طويلة، ولعل هذا من باب التيسير على أمته من بعده.

هذا عن السنن المؤكدة (الراتبة) أي التي كان يحافظ عليها الرسولﷺ طوال حياته ولا يتركها إلا لعذر، بل إذا تركها قضاها.. وهناك سنن أخرى غير مؤكدة؛ أي كان يؤديها

(1) رواه الإمام أحمد (الحديث: 2/ 405).

الرسولﷺ ولكن ليس بنفس درجة حرصه على السنن الراتبة.. فما هي هذه السنن غير الراتبة حتى تحاول الحفاظ عليها؟!

ثانياً: السنن غير المؤكدة:

وهي:

* ركعتان أو أربع ركعات قبل العصر.. يقول النبيﷺ: «**رحم الله امرءًا صلى أربعًا قبل العصر**»[1].. ومعنى: غير مؤكدة؛ أي أن الرسولﷺ لم يحافظ عليها إنما كان يفعلها أحيانًا ويتركها أحيانًا.. ولكن كما ترون فإن ثوابها عظيم.. فالمسلم ينال رحمة الله تعالى بمحافظته على أربع ركعات قبل صلاة العصر.. فهنيئًا لمن حافظ عليها.

* ومنها أيضاً ركعتان قبل المغرب.. يقولﷺ: «**صلوا قبل المغرب** ـ يعني بين الأذان والإقامة ـ **صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب**، ثم قال ـ في الثالثة ـ **لمن شاء**»[2]... فالسنة التي قبل المغرب غير مؤكدة.

---

(1) رواه أبو داود (الحديث: 1271) والترمذي (الحديث: 430) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 117).

(2) رواه البخاري (الحديث: 1183) و(الحديث: 7368) وأبو داود (الحديث: 1281).

* ومنها أيضًا ركعتان قبل العشاء، قالﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**»، ثم قال: «**لمن شاء**».

* ومما يؤكد ويبين مدى حرص النبيﷺ على السنة المؤكدة، أنه كان إذا فاتته يقضيها!! فمثلاً إذا لم يصل أربعًا قبل الظهر، صلاها بعده.. وهكذا. فقد كان ـ ﷺ ـ شديد الحرص على السنن المؤكدة.

تعدد النيّات في الصلاة وغيرها

* ومما يبين يسر الإسلام أنه يمكن صلاة ركعتين بأكثر من سنة.. أو تعدد النيات في الصلاة الواحدة.. فأجمع في ركعتين نية تحية المسجد وسنة الظهر القبلية وسنة الوضوء.. وهكذا. وهذا من عظمة هذا الدين الحنيف.

وما يقال عن الصلاة من تعدد النيات، يقال عن الصوم أيضًا، فيمكن صيام يوم الخميس مثلاً بنية أنه الخميس وأنه من الستة أيام من شوال.. وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ونية النجاة به من المعاصي وقتل نار الشهوة؛ لقولهﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[1] ـ أي وقاية وستر.

(1) رواه البخاري (الحديث: 1905) ومسلم (الحديث: 3384) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 387).

وهكذا فإنك تأخذ ثواب صيام أربعة أيام بصيام يوم واحد!!

ولهذا يقال: إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا تجار نيات.. فمثلاً أذهب إلى مجلس العلم لكي تحفني الملائكة.. وكي أتعلم، وكي أعمل بهذا الكلام.. وكي أدعو به إلى الله.. فهذا فضل عظيم من الله تعالى. وليتنا نطبق هذا الكلام الطيب العظيم.

صلاة الوتر

* ومن السنن أيضًا: الوتر.. يقول النبيﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً**»[1].

ويقولﷺ: «**يا أهل القرآن.. أوتروا**»[2].. وركعة أو ركعات الوتر (والوتر يعني الفرد: واحد أو ثلاثة أو خمسة..) سنة مؤكدة ـ مثل الفجر ـ ولذا يجب على المسلم ألا ينام قبل أن يصلي الوتر.. ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**أوصاني خليلي بثلاث: ركعتي الفجر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وألا أنام قبل أن أوتر**»[3].

---

(1) رواه البخاري (الحديث: 998) ومسلم (الحديث: 1752) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 20).

(2) رواه الترمذي (الحديث: 454) وأبو داود (الحديث: 1416) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 110).

(3) رواه البخاري (الحديث: 1178) ومسلم (الحديث: 1669) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 459).

* ووقت صلاة الوتر من بعد صلاة العشاء حتى وقت صلاة الفجر.. ويبين الرسول الكريمﷺ أهمية صلاة الوتر فيقول: «**أوتروا فإن الله وتر** ـ أي فرد ـ **يحب الوتر**»[1] أي: يحب صلاة الوتر ويثيب عليها.

ويقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: **إن الوتر ليس بحتم** ـ أي ليس لازمًا واجبًا أو فرضًا ـ **ولكنه سنة نبينا**.

وما تركه النبيﷺ في سفر ولا في حضر، ولا في مرض ولا صحة.

والنبيﷺ ينصح المسلم بأن يحافظ على سنة الوتر فيقول: «**من ظن ألا يستيقظ آخره** ـ أي آخر الليل ـ **فليوتر أوله، ومن ظن أنه يستيقظ آخره فليوتر آخره**»[2] أي: من غلب على ظنه وتعوّد على الاستيقاظ قبل الفجر، فالأفضل له أن يؤخر صلاة الوتر إلى قبيل الفجر.

* وقد سأل النبيﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «**يا أبا بكر.. متى توتر؟**» قال: أول الليل، بعد العتمة ـ أي صلاة العشاء ـ وقال: **وأنت يا عمر.. متى توتر؟**» قال: في

(1) رواه الإمام أحمد (الحديث: 1/ 148) والبيهقي (الحديث: 2/ 468).
(2) رواه الإمام أحمد (الحديث: 3/ 300).

آخر الليل.. فقالﷺ: «**أما أنت يا أبا بكر فقد أخذت بالثقة** ـ أي بالمضمون كما نقول الآن ـ **وأما أنت يا عمر فقد أخذت بالعزيمة أو بالقوة**»[1]. فليختر كل منا ما يراه أفضل بالنسبة له.. وليحرص على عدم ضياع صلاة الوتر.

صلوات أخرى مهمة

أولاً: صلاة الحاجة

من الصلوات الأخرى المهمة ما يمكن أن نسميه صلوات المناسبات أو الظروف كركعتي الحاجة.. فلا يصح أن يذل المسلم نفسه ويطرق أبواب الناس يسألهم العون ولا يطرق باب رب الناس.. وقد صدق من قال:

لا تسألنّ بُنيَّ آدم حاجةً ... وسلِ الذي أبوابه لا تحجبُ
فاللهُ يغضبُ إنْ تركتَ سؤالهَ ... وبُنيُّ آدم حين يُسأل يغضب

وعن كيفيتهما يقولﷺ: «**من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين سأل الله فيهما ما يشاء إلا أعطاه الله ما سأله معجلاً أو مؤجلاً**»[2].

(1) رواه الهندي (الحديث: 21918) والسيوطي (الحديث: 2/ 668).
(2) رواه الإمام أحمد (الحديث: 1/ 71) و(الحديث: 5/ 263).

وبعد صلاة الركعتين يدعو بهذا الدعاء: «**لا إله إلا أنت الحليم الكريم. لا إله إلا أنت رب العرش العظيم.. الحمد لله رب العالمين. اللَّهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم.. والفوز بالجنة، والنجاة من النار.. لا تدع لي ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرَّجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولنا فيها صلاح إلا قضيتها ويسرتها برحمتك يا أرحم الراحمين**»[1]. ثم تدعو الله تعالى بما تشاء من الأمور.

وما أفضل الصلاة ـ عامة ـ وصلاة ركعتي الحاجة خاصة في جوف الليل؛ حيث الهدوء والسكون وانقطاع القلب عن شواغل الحياة وضجيج الناس.

ثانياً: صلاة الاستخارة

ومن الصلوات المسنونة أيضًا صلاة الاستخارة. يقول الصحابة: **كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا الوضوء**[2].

والمسلم يصلي الاستخارة ليس في الأمور الكبيرة كالزواج أو السفر فحسب، بل يصليها حتى في الأمور التي قد

(1) رواه الترمذي (الحديث: 1384) وابن ماجه (الحديث: 1384).

(2) رواه البخاري (الحديث: 1162) وأبو داود (الحديث: 1538).

تبدو بسيطة مثل شراء «بدلة» أو قطعة قماش!! ولا تعجب من ذلك، فالله سبحانه هو الذي يخلق ما يشاء ويختار.. والأخذ بالأسباب واجب على المسلم.. ولهذا يقول الصحابة: كانﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كله.. ويقولﷺ: «**الاستخارة لا تأتي إلا بخير**». وينبغي عندما تدخل في صلاة ركعتي الاستخارة ألا تكون قد أخذت قرارًا نهائيًا.. وإلا فإنك تكون مخادعًا لنفسك.. فلا بد أن تدع الاختيار والأمر كله لله تعالى، فالاستخارة تعني الخروج من دائرة اختيارك وعواطفك وإيكال الأمر إلى الله العليم الخبير. ومن يصلِّ الاستخارة لا يندم بعد ذلك، لأنه أدى ما عليه.. بعكس الآخر الذي لم يصلها، فإنه يقول ـ إذا اتخذ قرارًا أو سلك سلوكًا غير موفق ـ يا ليتني ما فعلت هذا الأمر.. إلخ.

دعاء الاستخارة:

من السنة بعد أن يصلي المستخير ركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن أن يدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب. اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر** (وتسمي حاجتك) **خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ويسرني له وبارك لي فيه.. وإن**

كنت تعلم أن هذا الأمر (وتسمي حاجتك) **شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به يا أرحم الراحمين»**[1].

ولا يقل أحدكم: هل سأحفظ كل هذا الدعاء؟ فهو دعاء سهل.. ثم إن بعض الناس يحفظ نصف الأغاني! فماذا ستخسر إذا حفظت دعاءين يسيرين؟! وبعض الناس قضى خمس أو عشر سنوات في تعلم لغة أجنبية مثلاً فهل يصعب عليه حفظ دعاء قد يشكّل أو يؤثر في مستقبل حياته؟!

ثالثاً: صلاة الضحى

وأدناها ركعتان وأعلاها 12 ركعة... وموعدها من بعد شروق الشمس بثلث الساعة حتى قبل صلاة الظهر بثلث الساعة أيضًا.. يقول ﷺ: «**يصبح على كل سلامى من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[2]. فالجسم فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً

(1) رواه البخاري (الحديث: 1162) و(الحديث: 6382) وأبو داود (الحديث: 1538) والترمذي (الحديث: 480).

(2) رواه مسلم (الحديث: 1668) وأبو داود (الحديث: 1285).

لا بد من التصدق عنها كلها.. ويجزئ عن ذلك ـ أي يقوم مقام ذلك ـ ركعتان يركعهما من الضحى.

وتذكر ـ أيها الأخ ـ أن الخشوع روح الصلاة. وشتان بين صلاة الخاشع الذي يصلي بقلبه وجوارحه وصلاة الرجل الساهي الغافل.. وهنا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: **إن الرجلين ليقامان في الصف، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض!.**

وأذكر أنني كنت أصلي تهجدًا في رمضان الماضي، وبينما قال الإمام: الله أكبر.. فإذا برجل بجواري يبكي! فتعجبت وقلت: سبحان الله! كلمة الله أكبر أبكت هذا الرجل! فسألته بعد الصلاة فقال: خشيت أنني أكون قلتها بلساني وفي قلبي من هو أكبر من الله تعالى، فأكون كذابًا!! فبكيت متأثرًا بكلام هذا الرجل.

رابعاً: قيام الليل

ومعلوم أن المحافظة على صلاة الليل سبب لحضور القلب بين يدي الله تعالى وبكائه وتأثره بآي الذكر الحكيم والقرآن العظيم ـ على ما فيه من مشقة وعناء ـ وقد سئل الحسن البصري عن أشد شيء وأصعبه على الإنسان فقال: قيام الليل، فقيل له: **فما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟**

فقال: **لأنهم خلوا بالرحمٰن تعالى فألبسهم من نوره!**

وقد خلقنا الله تعالى، وأراد أن يعرف قدره في قلوبنا ولكي يعرف الناس ربهم ويروا نعمه وآلاءه.. ولهذا يقول سبحانه في الحديث القدسي: «**خلقت الخلق لأُعرف**»[1].

وأنا أدعوك أخي إلى أن تجرب قيام الليل وتذوق حلاوة المناجاة.. ولقد جربنا أشياء كثيرة في حياتنا كاللهو واللعب والسهر.... فلنجرب قيام الليل ومناجاة الله السميع العليم. واعلم أن قيام الليل دليل على حب الله للإنسان.. فمن وفقه الله وأعانه على قيام الليل فإن هذا يعني أن الله تعالى يحبه.. ولهذا جاء في الأثر: «**إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك**».

ولذا يقول جلَّ وعلا في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي أحد بأفضل مما افترضته عليه.. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[2].

---

(1) قال الله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ أي: ليعرفون.

(2) رواه البخاري (الحديث: 6502). وابن ماجه (الحديث: 3989).

وفي رواية تكمل لهذا الحديث تقول: «**وما ترددت في شيء ترددي في قبض عبدي المؤمن.. يكره الموت.. وأنا أكره مساءته**»[1]! أي ما يسوؤه ويحزنه؟!

وعلي قدر تميزك في قيام الليل.. على قدر حب الله لك.. والقابض على دينه في هذا الزمن كالقابض على الجمر وله ثواب عظيم.. وكذلك المحافظ على قيام الليل لا شك أن له أجرًا عظيمًا وثوابًا كبيرًا.. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

الرسول قدوتنا في قيام الليل

وإذا قرأت سورة المزمل وجدت أن الله تعالى يأمر نبيه محمدًاﷺ في أولها قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا..﴾ [المزمل: 1، 2] أي أن الأصل عند النبي أن يقوم معظم الليل أو نصفه على الأقل أو ينقص منه قليلاً.. ومعلوم أن قيام الليل كان فريضة على النبيﷺ وهو سنة مندوبة لأتباعه وأحبابه المسلمين ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: 3] قد تعني ثلث الليل ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ كأن يقوم ثلثي الليل مثلاً ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل: 4]؛ أي اقرأ القرآن بتأنٍ واحرص على إعطاء كل حرف حقه ومستحقه وصفته..

(1) رواه البخاري (الحديث: 6502).

ولذا أوصيك يا أخي أن تقوم الليل، وتقرأ القرآن كأنما أنزل عليك، وكأن الله تعالى يخاطبك أنت!

وعندما يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأعِرْ سمعك وقلبك لله تعالى وتدبر وأنصت، فإنه إما خير تؤمر به أو شر تنهى عنه. وإذا ما قرأت آيات عن الحساب فتخيل أنك واقف بين يدي ربك وأنه يحاسبك على أعمالك في الدنيا. وإذا قرأت آيات عن الجنة فتخيلها وابتسم، وتذكر رسول الله ﷺ عندما كان يصلي بالمسلمين ذات مرة وعندما قرأ آيات عن الجنة مد يده كأنه يقطف شيئًا من ثمارها! وإذا قرأت آيات عن النار تخيل أهلها وهم يصطرخون فيها ويعذبون. ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] وهو الوحي.. وهذا الوحي يحتاج إلى استعداد لأنه ثقيل وتكليف بأوامر ونواه ومن ثم يحتاج إلى عزيمة قوية وإيمان راسخ يستطيع الوفاء بهذه التكاليف وأداءها حق الأداء.

وعلى هذا فإن الأخ ـ أو الأخت ـ الذي يريد أن يكف نفسه عن المعاصي ويردعها عن الشهوات الحرام، لا بد أن يؤدب النفس في الليل بحسن القيام وطول القراءة والتدبر والمراقبة والخوف من الله تعالى..

ثم يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾

[المزمل: 8].. أي أقلع قلبك عن كل الشواغل الدنيوية وانقطع إلى طاعة الله جل وعلا.. واجعل فرحك وحزنك لله وبالله.. لا بالدنيا وشهواتها وغفلاتها.

وأود أن أسألك أخي سؤالاً: ما هو أول شيء في قلبك؟! والقلب سمي قلبًا لسرعة تقلبه، وهو سريع التأثر بالأشياء من حوله.. وأنت سريع التأثر بزوجك وأولادك وأحبابك... فهل جربت أن توجه هذه الحساسية لله تعالى؟! ولا تقل: أنا قلبي قاسٍ أو أنا لا أستطيع البكاء أو أنا لا أتأثر بالقرآن.... إلخ؛ فالقلب ـ أي قلب ـ فيه خير، ولكنك لم تستثمر هذا الخير. وجرب قيام الليل أسبوعًا واحدًا وسترى لذلك أثرًا عظيمًا.

ونبينا وقدوتنا ﷺ كان يقوم معظم الليل ويشق على نفسه فتسأله أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: يا رسول الله.. ألا ترفق بنفسك.. ألا تنام قليلاً؟ فيقول ﷺ: «**مضى زمن النوم يا خديجة**».

وقد كان بعض الصحابة من شدة خوفهم من الله وحبهم له يقومون الليل كله، فنزلت آخر آية في سورة المزمل تخفف عنهم وتقول: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: 20].

والسؤال: لماذا لا نقلد الصحابة رضي الله عنهم في قيام الليل واجتهادهم في الطاعة؟! واعلم أن قيام الليل صفة من

صفات عباد الرحمٰن المذكورين في آخر سورة الفرقان. يقول تعالى عنهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: 63، 64] كانوا يبيتون لربهم ساجدين وقائمين، فكيف تبيت أنت وكيف تقضي ليلك؟!؟ أمام التليفزيون؟ أم في المسارح والملاهي؟ أو مع أصدقاء السوء؟! بعض الناس يظلون طوال الليل ساهرين أمام التلفاز، فإذا ما أوشك الفجر أن يؤذن ذهبوا إلى مضاجعهم!! فيجاهدون أنفسهم في المعصية واللهو.. ولا يجاهدونها في طاعة الله جل وعلا!!

ويقول تعالى عن المؤمنين في سورة السجدة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: 15، 16].

ومعنى تتجافى عن المضاجع: أي أنها لا تستطيع الصبر على النوم، تكره الفراش اللين والراحة!! كأن بينه وبين السرير جفوة وخصامًا فلا يستطيع أن يمنع نفسه من مناجاة الرحمٰن ومخاطبة الواحد المنان! مسكين والله من لم يذق لذة القيام وحلاوة المناجاة!!

ويقول سبحانه عن جزاء هؤلاء وثوابهم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]..! إنهم أخفوا طاعتهم وعبادتهم عن الناس.. فأخفى اللّه ثوابهم العظيم.. وما تقر به أعينهم من المنح والعطايا.. والجزاء من جنس العمل.

فانظر يا أخي إلى أعداد المسلمين وانظر إلى نسبة الذين يقومون الليل منهم تجدها ضعيفة جدًا.. ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 15 ـ 18] ووقت السحر، هو الذي يسبق الفجر بنصف ساعة.. وعباد الرحمٰن المؤمنون يقضون هذا الوقت في استغفار الله تعالى لا في اللهو واللعب.

ويأمر الله تعالى نبيهﷺ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].. فالله تعالى يأمر نبيه بالتهجد بالقراءة، ويبين له أن هذا أحد أسباب فوزه بالمقام المحمود.. مقام الشفاعة يوم القيامة.. وأن يمنّ عليه بالوسيلة وهي المنزلة العالية في الجنة.. ومعلوم أن الذي يقوم الليل لا يستوي مع الذي لا يقوم، ولذا يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ

لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

واعلم أن هناك جنة في الدنيا، كما أن هناك جنة في الآخرة، وجنة الدنيا هي قيام الليل.. والخلوة بالرحمٰن سبحانه وتعالى.. بل إنها أفضل من الدنيا وما فيها كما أخبر المعصوم صلوات ربي وسلامه عليه قال: «**ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها**»[1].. ركعتان فقط!

ويقول ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة** ـ نزولاً يليق بجلاله ـ **حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟! من يسألني فأعطيه؟! من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يضيء الفجر**»[2].. فهل يصح أن ينزل ربنا جل وعلا من عليائه إليك وأنت مستغرق في النوم؟! ولو أن ضيفًا مهمًا أتاك قبل الفجر ألن تستيقظ وتنتبه وترحب به وتكرمه وتحاول إسعاده بكل طريقة؟! فما بالك بالله تعالى؟!

ويقول ﷺ: «**إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه.. وذلك**

(1) ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (الحديث: 5/ 185) والهندي في «كنز العمال» (الحديث: 21426، 21435).

(2) رواه البخاري (الحديث: 1145) ومسلم (الحديث: 1769) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 282).

كل ليلة»[1].

ونزل جبريلعليه السلام إلى سيد البشرﷺ فقال: «**يا محمد، اعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس**».

صورة من قيام النبيﷺ:

روي أن رجلاً أتى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال: أخبريني عن أعجب ما رأيت من رسول اللهﷺ.. فقالت: وأي أمره لم يكن عجبًا؟! أتاني ليلةﷺ فدخل معي في اللحاف حتى إذا مس جلده جلدي، قال: «**ذريني أتعبد لربي ساعة**»، فقلت له: والله إني لأحب قربك ولكني أؤثر هواك.. (انظر: إن هوى النبيﷺ في قيام الليل! فهل رأيت أحسن من هذا؟!).. فقامﷺ يصلي فبكى حتى كثرت دموعه، حتى رأيت دموعه تبل صدره.. (ولم تقل تبل لحيته.. بل صدره)! ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى.. فما زال كذلك حتى طلع الفجر، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الفجر، فرآه يبكي فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقالﷺ: «**وكيف لا أبكي يا بلال وقد نزلت عليّ الليلة هذه الآيات..** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(1) رواه مسلم (الحديث: 1767) والإمام أحمد (الحديث: 3/ 313).

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 190، 191].

ثم قال ﷺ: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**»[1].

ويقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: دخلت على النبي ﷺ فقلت أصلي معه وحدي، فافتتح سورة البقرة، فقلت: يختم عند المائة فأكملها، فافتتح آل عمران فقلت: يركع عند المائة فأتمها، فافتتح النساء فقلت: يركع عند المائة فأتمها، يمر بالآية فيها تسبيح فيسبح أو دعاء فيدعو أو تعوذ فيتعوذ.. ثم ركع فكان ركوعه قريبًا من قيامه، ثم سجد فكان سجوده قريبًا من ركوعه...!!

ولا شك أن النبي كان يجد لذة في هذا القرب وفي تلك المناجاة. وإلا لما قام ﷺ حتى تتورم قدماه ثم تتورم ساقاه، ثم تتشقق قدماه، فيقال له: أتفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر؟ فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!**»[2] وكان ﷺ

(1) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (الحديث: 2/ 111) والزبيدي (الحديث: 10/ 163).

(2) رواه البخاري (الحديث: 1130) ومسلم (الحديث: 7055) والإمام أحمد (الحديث: 4/ 251).

يصلي فيراوح بين قدميه؛ أي يميل على إحدى رجليه أكثر من الأخرى، فإذا تعبت مال على الأخرى!!

ويروي البخاري[1] ـ رحمه الله ـ يقول: اشتكى رسول اللهﷺ فلم يصل ليلة أو ليلتين! (انظر ليلة أو ليلتين فقط، لا سنة ولا اثنتين ولا عشر!!). ولا أستطيع أن أتخيل أن الرسولﷺ أمسك بأحد الصحابة فظل يوصيه بقيام الليل كما نفعل نحن الآن؛ إذ حُبب إليهم ـ رضي الله عنهم ـ قيام الليل وذاقوا حلاوته، فلم يحتاجوا إلى من يدعوهم إلى ذلك ويرغبهم فيه إلا قليلاً.

صور من قيام الصحابة والتابعين:

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ: قال لي النبيﷺ: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل**»[2].. فانظر إلى تشجيع النبيﷺ لهذا الصحابي على قيام الليل، وتحذيره إياه من تركه، فإنه حرمان ليس بعده حرمان.

---

(1) (الحديث: 1124).

(2) رواه البخاري (الحديث: 1152) ومسلم (الحديث: 2725) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 170).

وكانﷺ يقول عن عبد الله بن عمر: «**نعم الرجل عبد الله، لو كان يقوم الليل**»[1].. فما ترك عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قيام الليل بعد سماعه هذا الحديث من الرسولﷺ.. وكان لا ينام إلا قليلاً.. فهل تحب أو ترضى أن يحزن عليك أو يغضب منك الرسولﷺ؟!

وروي أنهﷺ ذهب إلى سيدنا علي وزوجه السيدة فاطمة رضي الله عنهما ليتفقدهما ويوصيهما فطرق الباب عليهما ليلاً فوجدهما نائمين، فقال: «**ألا تصليان**»[2]؟!

واستيقظﷺ ليلاً فوجد زوجاته نائمات، فقالﷺ: «**من يوقظ صواحب الحجرات؟!**»، من يوقظ هؤلاء النائمات لكي يعبدن الله تعالى؟! ثم يقول كلمة صعبة فيها ترغيب وترهيب، يقول: «**فلرُبَّ كاسية في الدنيا، عارية يوم القيامة**»[3].. فانظر إلى هذا الحديث وتأسّ بالنبيﷺ الذي كان يحرص على إيقاظ زوجاته ليقمن الليل، واحرص على إيقاظ زوجتك أو أختك أو

(1) رواه البخاري (الحديث: 1121، 1122) ومسلم (الحديث: 6320) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 146).

(2) رواه البخاري (الحديث: 1127) ومسلم (الحديث: 1815) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 91).

(3) رواه البخاري (الحديث: 5844).

والدتك.. فمن دعا إلى هدى كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجره شيئًا.

وحدث موقف في إحدى الغزوات يمثل مدى استغراق وحب الصحابة رضوان الله عليهم في قيام الليل، ومدى استغراقهم في لذة المناجاة وحلاوة القرب. فقد وقف العبّاد بن بشر يصلي الليل لله ـ وكان مكلفًا بحراسة المسلمين في إحدى الغزوات ـ فأتى رجل من الأعداء فرماه بسهم فوقع في كتفه ـ لكنه كان كما أشرنا مستغرقًا في لذة القرب وحلاوة المناجاة ـ فنزع السهم واستغرق في صلاته ولم يعبأ بالجرح والدم والألم، فلم يلبث الكافر أن رماه بسهم آخر فيقع ـ أيضًا ـ في كتفه، فينزعه ويكمل صلاته.. فيعيد الرجل الكرة مرة ثالثة ويقع في المكان نفسه (انظر.. ونحن إذا أصيب أحدنا في أصبعه بألم صغير أو جرح بسيط لربما قصر في صلاة الفريضة! ـ فيخرج عبّاد الله ـ وانظر فقد كان اسمًا على مسمى: فعباد صيغة مبالغة من عابد، وحقًا كان الرجل عبادًا لله وإلا ما تحمل كل ذلك وصبر عليه وهو واقف بين يدي الله.. ولو قطع الصلاة لعفا الله عنه بإذنه تعالى)، ثم يركع ويسجد ويسلم، ثم يوقظ الصحابي الآخر الذي يتناوب معه الحراسة، لا لشيء إلا ليتولى حراسة المكان، لا ليشكو ما حدث له!! فيسأله

الصحابي الآخر: لماذا لم توقظني من أول سهم رُميت به؟ فيقول: كنت أقرأ سورة من القرآن فكرهت أن أقطعها! ولأن أكمل الركعتين أحب إلي من خروج روحي.

ولعلك تندهش لهذا وتتعجب له.. ولكن الحقيقة أن من جرب لذة القيام وذاق حلاوته شهرًا واحدًا فَهِمَ كلام عباد بن بشر رضي الله عنه!!

* وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان تحت عينيه خطان أسودان من كثرة البكاء! وكان يقوم الليل ويوقظ أهله ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه: 132]، وذات مرة يقرأ سورة الطور حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: 7، 8] ـ سقط مريضًا، فظل الصحابة يعودونه (أي يزورونه) شهرًا، لا يدرون ما به!!

* وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون وأرخى الليل سدوله، سمع له دويٌّ كدوي النحل وهو قائم يصلي!!

* وهذا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث، فيقوم الثلث الأول، ثم يوقظ امرأته فتقوم الثلث الثاني، ثم توقظ امرأته ابنتهما الوحيدة فتقوم الثلث

الأخير!! (الله!! ما أحسن هذا، بيت كله طاعة وتهجد وتعبد لرب الأرض والسماء!! هل رأيت أو سمعت أو تخيلت أفضل من هذا؟!).. فلما ماتت زوجته قسم الليل هو وابنته، فكان يصلي نصف الليل وتصلي ابنته النصف الآخر.. فلما مات أنس رضي الله عنه حرصت ابنته على أن تقوم الليل كله لله رب العالمين!!

أين نحن من هؤلاء؟! إننا ـ والعياذ بالله ـ من أبناء الدنيا.. ولسنا أهل آخرة.

* ويقول أحد التابعين: **كابدت قيام الليل سنة، فاستمتعت به عشرين سنة.**

* وكان أحدهم يضع يده على فراشه ويمررها عليه ويقول: **والله إنك للين، ولكن في الجنة ما هو ألين منك!!**

* وكان أحدهم ينظر إلى فراشه وهو في غاية الجهد والتعب ثم يقول: **أطار ذكر جهنم نوم العابدين!!**

* وهذا سيدنا الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم.. وأن ذنوبك الكثيرة قيدتك!!

* وكان للحسن البصري رحمه الله جارية فباعها.. فلما جاء الليل قامت الجارية وأخذت تنادي: يا أهل الدار: الصلاة الصلاة! فقالوا: أطلع الفجر؟! فقالت: ألا تصلون إلا

المكتوبة؟! فقالوا: نعم.. فرجعت إلى الحسن البصري وقالت: يا مولاي، ردني، فإنك بعتني لقوم لا يصلون إلا الصلوات الخمس!

* وهذا أحد التابعين يقول: رأيت امرأة في المنام فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حورية من حوريات العين، فقلت: زوجيني نفسك، فقالت: اخطبني من سيدي، فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول القيام!!

* ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **لم يبق من حلاوة الدنيا إلا ثلاثة أشياء: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في جماعة!!**

* ويقول الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام كي ينام الناس فأخلو بالله عز وجل!

* وهذا المنصور بن المعتمد كان يصلي على سطح بيته كأنه جذع نخلة، فلما مات قال ابن جاره لأمه: يا أماه.. أين الجذع الذي كان على سطح المنصور؟ فقالت: يا بني لم يكن جذعًا، إنما كان المنصور..

* وأحد التابعين دخل عليه رجل وهو يبكي، فقال له: أتشتكي؟ قال: بل أشد، قال: أفقدت بعض أهلك؟ قال: لا،

فعجب الرجل وقال: أضاعت أموالك؟! قال: بل أشد، قال: وما أشد من ذلك؟ قال: نمت البارحة ولم أصل الليل!!..

واعلموا أن أحب الصلاة إلى الله بعد الفريضة صلاة الليل.

* ويقول أحد التابعين: **منذ أربعين سنة ما حزنت على شيء كحزني على طلوع الفجر!!**

تُرى لماذا يا أخي؟ يقول: يطلع عليّ الفجر وما قضيت وطري من قيام الليل! ولم أقض نهمي من القرآن!

ومن اعتكف أو تهجد في العشر الأواخر شعر بلذة العبادة والطاعة.

* ويقول أحد التابعين: أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل اللهو في لهوهم!!

وأنا أقول: ومن لا يصدق فليجرب!! فلذة القيام أحلى من لذة الجلوس مع الأهل أو مشاهدة التلفاز أو اللعب أو مشاهدة مباراة!!

* روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «**يا داود، إن لي عبادًا أحبهم ويحبونني، وأشتاق إليهم ويشتاقون إليَّ، إن قلدتهم ـ يا داود ـ أحببتك**»، فقال داود: يارب، دلني عليهم، فقال: «**يراعون الغلال بالنهار** (أي يزاولون أعمالهم

الدنيوية) **ويحافظون على الصلوات، ويحنون إلى الليل، كما تحن الطيور إلى أوكارها!!**» وأنا أسالك: عمرك حنيت أو اشتقت لقيام الليل! **حتى إذا جاءهم الليل وخلى كل حبيب بحبيبه، ففرشوا إليَّ وجوههم، ونصبوا إلي أقدامهم وناجوني بكلامي، وتملقوا إلي بإنعامي، فهم بين صارخ وباكٍ وبين متأوهٍ وشاكٍ!! أتعلم يا داود؟! أعطهم ثلاثة أشياء:**

الأول: لو كانت السمٰوات السبع والأرضون السبع في ميزانهم يوم القيامة، لاستقللتها عليهم.

والثاني: أقذف من نوري في وجوههم وفي قلوبهم.

والثالث: أقبل عليهم بوجهي. أفرأيت يا داود من أقبلت عليه بوجهي أيعلم أحد ماذا أريد أن أعطيه»؟!

* وكان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يقوم الليل ـ أحيانًا ـ بآية واحدة يرددها طوال الليل، وهي قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: 46] كان يرددها ويبكي.

وكان يقوم أحيانًا بقوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: 27].

* وهذا حسان بن ثابت يناجي الله في ظلمة الليل يقول له: بابك لم أغادره، ولم أسع إلى غيرك، فاسمح لي

بالرضى، وأشرف أنني عبدك، إلٰهي خالق الأكوان.. لا أسعى إلى غيرك!

* وهذا مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ كان يقوم الليل فتسمعه زوجه يناجي ربه: إلهي، أنت وحدك، تعلم ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين أنا؟!

* وكان سليمان الداري يناجي ربه بالليل قائلاً: لئن سألتني يا رب عن ذنبي يوم القيامة لأسألنّك عن رحمتك، ولئن سألتني ـ يارب ـ عن تقصيري لأسألنّك عن عفوك، ولئن قذفتني في النار لأخبرن أهل النار أني أحبك!!

* وكانﷺ إذا قام الليل دعا ربه تعالى: «**اللَّهم لك الحمد.. أنت رب السمٰوات والأرض ومن فيهن.. ولك الحمد أنت نور السمٰوات والأرض ومن فيهن.. ولك الحمد أنت قيّم السمٰوات والأرض ومن فيهن.. ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمدﷺ حق. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إلٰه إلا أنت**»[1].

(1) رواه البخاري (الحديث: 1120) ومسلم (الحديث: 1805، 1806) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 358).

ميسّرات قيام الليل:

ورُبّ سائل يسأل: بم نستعين على قيام الليل!!

معلوم أن قيام الليل عمل شاق على الإنسان بشكل عام، إذ يميل الإنسان ـ في الليل عامة ـ إلى النوم والإخلاد إلى الراحة بعد عناء المشقة والسعي وراء الرزق بالنهار، ولذا فإن قيام الليل لا بد له من استعداد وزاد.. وأسباب ومعينات وميسرات.. ونذكر منها:

أولاً: عدم الإكثار من الأكل والشرب ـ خاصة قبل النوم ـ ولهذا فإن بعض العبّاد كان يقول: يا معشر المريدين.. لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فتناموا كثيرًا فتخسروا كثيرًا، فتندموا عند الموت كثيرًا.

ثانيًا: ألا ترهق نفسك بالأعمال الشاقة بالنهار.. وإذا أرهقت نفسك فاحرص على القيلولة بأن تنام ساعة بالنهار بنية الاستعانة بذلك على قيام الليل، ويكون نومك حينئذ عبادة، لأن النية ـ كما نعلم ـ تحول العادة إلى عبادة.

ثالثًا: ترك الذنوب بالنهار... ولذا قال أحد التابعين: لا تعصوا الله بالنهار تقوموا الليل!.. ولذا يقول سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب! قيل له:

وما ذلك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت: هذا مراءٍ! سبحان الله!! حرم قيام الليل خمسة أشهر بهذه الكلمة البسيطة!!

رابعًا: مراعاة التدرج.. بمعنى صلاة ركعتين لمدة أسبوع أو أسبوعين ثم أربع ركعات مثل ذلك ثم ست ركعات.. وهكذا.. والمبالغة في العمل ثم تركه كلية مدخل من مداخل الشيطان.. والنبيﷺ يقول: «**إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق**»[1].

ويفضل أن تجعل لنفسك وردًا من القرآن في القيام كأن تختم القرآن في القيام لمدة شهر مثلاً؛ أي تقرأ كل يوم جزءًا.. والإنسان طموح ويسعى دائمًا إلى تحقيق ما تمنى. وللعلم، فإن كل الصحابة والتابعين كان لهم ورد من القرآن.. فمنهم من كان يختم في ثلاثة أيام ومنهم من كان يختم في أسبوع.. وهكذا.

ويا لسعادتك حينما تختم القرآن واقفًا في قيام الليل! إن هذا خير سلاح ضد الشيطان..

والنبي الكريمﷺ يدعو بالرحمة لقائم الليل الذي يوقظ

(1) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 3/ 18، 19) والهيثمي (الحديث: 1/ 62).

زوجته، ولقائمة الليل التي توقظ زوجها، فيقولﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[1].. ومعنى نضح: أي نثر بخفة، ولم يقل سكب.

إن قيام الليل سبب لحصول الرحمة.. فلنسارع إخوة الإسلام إلى تحصيل هذه الرحمة بقليل من الجهد.. ومن استعان بالله أعانه.

* ويقولﷺ: «**من استيقظ من الليل فأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**»[2].

فاحرص على أن توقظ زوجك أو خطيبتك أو أمك أو ابنتك أو ابنك لقيام الليل.. واحرص على نيل ثواب الدعوة إلى الهدى والتشجيع عليه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى طاعته والسعي في مرضاته.. إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) رواه أبو داود (الحديث: 1308) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 250).

(2) رواه أبو داود (الحديث: 1309) وابن ماجه (الحديث: 1335).